الشعراء الفرسان

كان للفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر والمكانة المرموقة بين القبائل ، لأنهم عنوان الشجاعة وملاذ القبيلة وحماتها عند احترام المعارك ، وكانت الفروسية حديث الناس وأقاصيصهم ، كما كانت حافزاً قوياً للاقتداء وشحذ الهمم والسير في المسلك الذي خطّه البطل لنفسه ، وقد ظلت أحاديث أولئك الأبطال حيّة في نفوس الأجيال ، يستلهمون منها القوة والعزيمة ويستمدون العون ، ولقد كان لكل قبيلة فارسُها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلاً وكيف يقفزون عليها ويشهرون سيوفهم ويلوّحون برماحهم ، وكيف يسدّدون ضرباتهم إلى أعدائهم .. وتلقانا دائماً أسماؤهم وخاصة في حروبهم الطويلة .. ومن هؤلاء الفرسان " عامر بن الطفيل" و "عنترة بن شداد" و " ودريد بن الصمّة" و " عمرو بن كلثوم" .. وغيرهم كثير .

ويتميز شعر هؤلاء الشعراء الفرسان بمجموعة خصائص ، يمكن إجمالها على النحو الأتي :

١- **العنف :** أمر متوقع في شعر الفرسان الذين يمارسون القتال ويعيشون في خضم المعارك وأبطالها وضحاياها .. ويبدو هذا العنف في صُورهِ التي يوحي بها روح الثأر والانتقام خاصة .. فهي صور مليئة بالتشفي والتلذذ بما يُصيب الأعداء من قتل وسبي وأحزان ومأتم ، ونلمس ذلك واضحا في قول عامر بن الطفيل :

ونحن صبحنا حيّ أسماء بالقنا ..... ونحن تركنا حيّ مرّة مأتما

وفي قوله :

لقيناهم ببيضٍ مرهفاتٍ نقتلّهم بها حتى أبيـــــــــدوا
وأردفنا نساءَهمِ وجئـــن وقد دُميتْ من الخُمشِ الخدودُ

ومثلَ هذه الصور كثير كثرة واضحة في شعر " عامر بن الطفيل" .. وربما كان ذلك معبراً عن عنف في شخصيته فضلاً عما في غرض الحماسة من العنف المعتاد .

٢ ــ الشجاعة الأدبية :

اتصف قسم كبير من الشعراء الفرسان بعدم الاندفاع وراء الخيال في المبالغة لما يُصيب أعداءهم في المعركة ، وإنما كانوا معتدلين منصفين .. يذكرون ما وقع لخصومهم في المعركة وما وقع لقومهم بها دون تحيّز، ويعترفون لخصومهم بالبأس والنجدة والمروءة فلا يذمونهم ولا يجردونهم من صفات الفروسية الحقة التي يعترفون لهم بها ، وهذا النوع من القصائد سمّي "المنصِفات" .. فهذا " عمرو بن كلثوم" يعترف في معلقته لأعدائه بالشجاعة ، فالسيوف في أيدي قومه وأيدي أعدائهم كأنها مخاريق بأيدي لاعبين ، وهم يقتلون منهم كما يقُتل من قومهم ، وثيابهم جميعاً ملطخة بالدماء ، يقول :

كأن سيوفنا فينا وفيـهم مخاريق بأيدي لاعبينـــــا
كأن ثيابنا منا ومنـــهم خُضبنَ بأرجوانِ أو طَلينـا

ويقول عنترة في معلقته :

فشككْتُ بالرمحِ الطويل ثيابَه ..... ليس الكريم على القنا بمحّرمِ

فهو يرفع من قدر خصمه فيدعوه كريماً ويقول إنه مات ميتة الأبطال الشرفاء في ساحة القتال .. وفي شعر " عامر بن الطفيل" تسجيل صريح لمعاركه المنتصرة والخاسرة ، فشجاعته في القتال أوجدت في نفسه الشجاعة الأدبية التي تسهّل له الاعتراف بأعدائه بأنهم انتصروا عليه نحو قوله في قصيدة من أشهر شعره :

لعمري وما عمري عليّ بهيّـــن ... لقد شان حُرَّ الوجه طعنةُ مُســـهرِ
فبئس الفتى إن كنتُ أعور عاقراً ... جباناً فما عذري لدى كل محضـــرِ
وقد علموا إني اكرّ عليـــــــهم ... عشية فيف الريح كرّ المـــــــدور

٣ ـ ألأدب الفروسي :

من تقاليد الفرسان الجاهليين إن يقدّموا نتائج معاركهم للحبيبة لينالوا إعجابها وثناءها ، وذلك يوجد أحياناً تداخلاً جميلاً بين حماستهم وغزلهم ، يقول عنتر

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنة مالـك ... إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمـــــي
يُخبرك من شهد الوقيعة أننـــي ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنـمِ

وقوله أيضاً :

أثني عليّ بما علمتِ فأننـي ... سمحٌ مخالقتي إذا لم أظلَمِ
فإذا ظلِمتُ فان ظلمي باسـلٌ ... مرٌّ مذاقتهُ كطعمِ العلقـمِ

٤- وصف السلاح والفرس :

وممّا يلاحظ عند الشعراء الفرسان وصفهم أسلحتهم باعتدادٍ وإعجابٍ مصورين العلاقة الحميمة بين المقاتلين والسلاح في مثل قول " عامر بن الطفيل" :

يوم لا مال للمحارب في الحـر ... بِ سوى نصل أسمر عسّالِ
ولجام في رأس أجردَ كالجـذ ... عِ طـوالٌ وأبيض قصّـالِ
ودِلاصٍ كالنهي ذات فضـول ... ذاك في صلبة الحوادث مالي

وللفُرس في هذا الصدر مكان خاص في شعر الفرسان فهو رفيق المعركة الحي الذي يفهمها ويشارك الفارس مشاعره فيها ، ومن نحو هذا قول عامر بن الطفيل :

وقد علم المزنوق إني اكـــــرّهُ ... عشّية فيف الريح كر المشـــــهّر
إذا ازوّرَ من وقع الرماح زجرتـه ... وقلتُ له ارجع مقبـــلاً غير مدبـــر
وأبنأتـــهُ إن الفرار خزايَـــــةً ... على المرء ما لم يبُل عذراً فيعُذرِ
ألستَ ترى أرماحهم فيَّ شرّعـــاً ... وأنت حصانُ ماجد العرق فأصـبرِ